



الخميس 1 مايو 2014 12:05 م

أحمد الحارون

الآن فهمتُ أكثر من ذي قبل أن البعض من المصريين لا يزال بهم بقية من فرعنة قديمة، وبينهم وبين اليهود وشائج كامنة بحكم المعاشرة قديماً، تحتاج هذه الوشائج لمجرد الضغط عليها فتطفو على سطح السلوك، أو هي كامنة في النفس كمون الطيب في العود، فإذا ما اتصل العود بالنار فاحت رائحة الفرعنة وانتشرت، فـ فرعون استخف قومه لا من قوته هو، بل من فسقهم هم، "فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين"، فحين يسيطر الفسق تفسد الفطرة السليمة لدى المرء وتكون ملكاته مستعدة لاستقبال ما ينافي العقل والمنطق والدين والإنسانية.

فمنذ القدم نجد الإنسان يبحث عن الطوطم، وهذا الطوطم قد يكون رمزاً لقبيلة أو فئة من الناس، ثم مع مرور الزمن نجد أهل هذه القبيلة تعبد وتقديس هذا الطوطم، وهذه الطوطمية ظهرت جلياً أبان الحقبة الجاهلية وانتشار عبادة الأصنام، فما بين العلة والمعلول، والتابع والمستقل نجد الارتباط وثيقاً، فلما كان أهل مصر (أيام فرعون) فاسقين ويبحثون عن طوطمهم وجد فرعون ضالته، فقال لهم: "أنا ربكم الأعلى"، وأعان فرعون على ذلك وزرائه وقارونه وهامانه، حتى قال لهامان: "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلْهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ"، فحين نجد الحاكم الظالم لابد أيضاً من وزراء وبطانة فسده على شاكلته، فيزينون له الكذب أنه الصدق، ويررون له القتل ليمنع الفساد أو يحافظ على الأحياء، وأعوان الظلمة كثر في كل صعيد ومحفل، فيُروى عن الإمام - أحمد بن حنبل - حين كان مسجوناً في محنة (خلق القرآن)، قال له السجان: هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له: لا، لست من أعوان الظلمة، إنما أعوان الظلمة من يخطون لك ثوبك، ومن يطهون لك طعامك، ومن يساعدك في كذا، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وروي أيضاً أنه جاء خياط إلى سفيان الثوري فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان، هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيط !! ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد قال غير واحد من السلف أعوان الظلمة من أعانهم ولو أنهم لاق (أي ناول) لهم دواة أو برى لهم قلماً، ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم، فان المعين على البر والتقوى من أهل ذلك، والمعين على الاثم والعدوان من أهل ذلك". (1)

فاحذر أخي أن تكون من الظلمة أو تركز إليهم ولو شيئاً قليلاً، فما يحدث في مصرنا الآن فتنة حالكة، الناجي منها من نجاه الله، أما من فوض وأيد واستهان بالقتل فهو لا محالة في الجرم مشارك.

قال المروزي: لما سجن أبو عبد الله جاءه السجان فقال له يا أبا عبد الله: الحديث الذي روي في الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال: نعم، قال السجان: وأنا من أعوان الظلمة؟ قال له أبو عبد الله: أعوان الظلمة من يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك ويبيع ويشترى منك، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وفي عصور الطغاة نجد الخطب الجوفاء، فيصير الكذب أصلاً ويبنى عليه، ويُعمل به، والحاكم الطاغي في دولة ضعيفة جاهلة يظن نفسه المشيئة المطلقة المنقذة التي لا تُخطيء، فيفسد ويطن فساده إصلاحاً فنصفق له، حماقته

لدى شعبه منتهى الحكمة فنرددها كبيغاء دون فهم، شعودته ضرباً من ضروب النبوة التي يُوحى إليه بها، ولا معنى في عقله إلا حبل من مسد، لذا يشنق من يخالفه الرأي، ولا يعرف من القرآن إلا معنى.. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وردعا لمن عصى، " سجنهم أحب إليّ مما يعارضونني فيه " ، فالطاغية لو أمره الله ليعصي الله فينا، ما أطاعه بهذا القدر، وهو يأمره أن يقيم العدل فينا، فلا غرابة أن تجد المقتول مداناً، فيقولُ الفاسق: لماذا ذهب لمكان القتل، وكان من الأولى أن يقول للقاتل: لماذا قتلت؟ فالحق يبقى حقاً وإن آمن به قلة، والباطل يبقى باطلاً وإن كان معتنقه كثرة، فهذه سنة الدفع التي سنها الله لعباده، فالحق والباطل يتدافعان إلى قيام الساعة. أما بنو إسرائيل بعدما أنقذهم الله من فرعون وبطشه وجبروته، وبعد ما رأوا الآيات يحنون إلى ماضيهم وفساد فطرتهم فيقولون: "اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" فالجهل أخو الكفر في أوقات كثيرة، لكنها الفطرة حين تنتكس، تقدس العجل، أو ربما الطوطمية الكامنة في النفس تطفو على السطح، ولا غرابة أن نجدهم وبعد أن منَّ الله عليهم بأطايب الطعام تتوق أنفسهم لأدناه، " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ"، فهذا يكاد ينطبق على واقعنا الأليم، وأظهرته جلياً شهور ما بعد الانقلاب العفن، فلا نجد إلا غناء القوم يطفون على سطح الانقلاب ويصدعوننا في فضائيات قميئة، أما شرفاء الوطن وأحراره فمن نجا منهم ففي غيابات الحب وخلف قضبان السجون، ولذا لا يعتبر كلُّ طاغية اليهود أعداءه، لأنهم على شاكلته، فاليهود يقتلون المسلمين، والطغاة يقتلون شعوبهم، فتباً ل كليهما.

.....